المناهج ما بعد النصية أو (ما بعد الحداثة)

هي المناهج التي جاءت بعد المنهج البنيوي وأكدت على القاريء أو المتلقي ، وتؤكد على المعنى أو المضمون ليس المعنى الذي أراده المؤلف ولا هو المتحصل من النص ولا هو الظاهر وإنّما هو حصيلة لقاء القاريء بالنص بما يتمتع من حصيلة ثقافية وعلمية متنوعة .

ومن هذه المناهج (المنهج السيميائي ، والمنهج التفكيكي ، والمنهج التأويلي أو نظرية التلقي ، والنقد الثقافي (النقد النسوي))

أولاً : المنهج السيميائي (السيميائية)

كان من ثمار تطور الدرس اللساني الحديث ظهور مناهج وتيارات نقدية كثيرة مثل البنيوية والأسلوبية والسيميائية .

ومثلما سعت البنيوية إلى تقديم قراءات منغلقة للخطابات بغية تأصيل نماذج بنائية محددة فقد سعت السيميائية الى تطوير طرائق منفتحة للقراءة متخطية جدار اللغة ومنطلقة نحو تأسيس نظرية في (علم الأدب) والإنطلاق من ثم إلى الاهتمام بالخطابات الأخرى كالخطاب الفلسفي والديني بوصفها أنظمة فكرية تخفي خلفها سيلا من المعاني التي يجب القبض عليها .

ينطلق السيميائيون من رؤية ترى أنّ المشكلة اللغوية هي أولاً وقبل كل شيء مشكلة (سيميائية) وآية ذلك أن اللغة تنتمي إلى مجموعة (الأنظمة الرمزية) التي تشكل الثقافة كالكتابة والفن والأساطير والسلوك والطقوس وبسبب هذا الاهتمام أطلق السيميائيون العنان لحرية القراءة بحثاً عن النسق المتخفي وراء الإشارات أو الأنظمة الدلالية للشفرات والعلامات ورغبة في كشف إنتاج المعنى .

والسيميائية أو السيمائية أو السيميولوجية أو السيميوطيقا أو علم الإشارة أو علم العلامات أو علم الدلالة كلها في حقل واحد يدعى المنهج السيميائي .

أسهم في وجود هذا العلم عدد من العلماء والفلاسفة والنقاد التي طالبت أن تكون السيميائية علماً ومنهجاً نقدياً واستراتيجية مطورة في قراءة الخطابات الابداعية قراءة سيميائية أو قراءة النص بوصفه ممارسة دالة وهي في الفلسفة رمزية للأشكال وهي أيضاً مفهوم يدخل بخلفياتها اللسانية فتكون بمرجعياتها سيمياء التواصل وسيمياء الثقافة وسيمياء الأنساق الثقافية بظواهرها الثقافية والتواصلية والدلالية .

لقد بشر دي سو سير بمولد السيميولوجيا وحدد موضوعها بكلّ علامة دالة وجعل اللغة جزءاً من هذه العلامة الدالة إذ عُدّ علم اللغة جزءاً من علم السيميولوجيا العام يقول (اللغة نظام إشاري يعبر عن الأفكار) .

فاللغة نظام من العلامات تعبر عن الأفكار مثلها مثل أنظمة أخرى كأبجدية الصم والإشارات العسكرية وإشارات المرور ولكن اللغة هي أهمّ من هذه الأنظمة العلاماتية .

ونظر بيرس إلى السيموطيقا إذ درس الرموز ودلالاتها وعلاقاتاتها وسيميوطيقا بيرس بوصفها تشمل التمثيل والتواصل والدلالة في آن واحد وهي تتسم بثلاثة أبعاد :

بعد تركيبي ، وبعد دلالي وبعد تداولي .

فاللغة على سبيل المثال تتكون من فونيمات (صوتيات) ومورفيمات (وحدات صرفية) ووحدات معجمية وتشكل هذه الوحدات البعد التركيبي للدلائل .

أما البعد الثاني فيهتم بالمعاني في الدلائل بالنظر إلى مؤولاتها والمعاني التي تتحصل عليها لا تمدنا بها اللغة في بعدها الأول (التركيبي) ولا ببعدها الثاني (الدلالي) وإنّما في بعدها الثالث أي الفكر الذي هو موضوع التداولية .

يعزى سيميولوجيا الدلالة الى الناقد رولان بارت ويقترب من حقل النقد الأدبي لعنايته بربط الدلالة باللغة فقد ذهب إلى أنّ السيميولوجيا هي علم الدلائل وقد استمدت مفاهيمها من اللسانيات وقد قلب المعادلة إذ جعل السيميولوجيا فرعاً من اللسانيات .

ويذهب بارت الى احدى القدرات التي ينطوي عليها الأدب هي قدرته السيميولوجية وقدرته على أن يلعب لعبة الدلائل بدل أن يقوضها وأن يقذف بها في آلة لغوية ، وليست من الممكن التحكم بها

ويربط بارت انتاج المعنى / الدلالة باللغة لأنّ انتاج المعنى أصلاً من اللغة .

وقد طور الناقد الأسلوبي ريفاتير طريقة سيميائية خاصة بالقراءة الشعرية كشف فيها عن العلاقة الجدلية بين النص والقاريء وتحدث عن مرحلتين من مراحل القراءة فك شفرة القصيدة القراءة الاستكشافية والقراءة الاسترجاعية وان عملية فك شفرة القصيدة تبدأ من المرحلة الأولى أما المرحلة الثانية فهي القراءة الاسترجاعية أو الارتكاسية وفيها تجري عملية التفسير الثانية محققة القراءة التأويلية .

وهنـاك مـن نظـر إلـى سـيميولوجية الثقافـة فيعـدون الظـواهر الثقافيـة موضـوعات تواصلية وأنساقاً دلاليـة وقـد عنـى اصـحاب هـذا الاتجـاه بدراسـة الظـواهر الثقافيـة باعتبارها عمليـات تواصـلية وربطـوا بـين اللغـة والمسـتويات الثقافيـة والاجتماعيـة والايديولوجية مؤكدين أن العلاقة تتألف من دال ومدلول ومرجع ثقافي .

فخرجت مصطلحات كثيرة في هذا الحقل منها سيمياء التواصل في محورين:

محور التواصل إما تواصل لساني بالفعل الكلامي إو تواصل غير لساني بالملصقات الدعائية والاشارات المرورية

ومحور العلامة بين الدال والمدلول في أربعة أصناف :

١-الإشارة كالعرافة والكهانة وأعراض الأمراض والبصمات

٢-المؤشر كالاشارات الاصطناعية مثل ازرا ر الأجهزة

٣-الأيقون كالعلامة تدلّ عل شيء تجمعه إلى شيء آخر علاقة المماثلة

٤-الرمز ويسمى علامة العلامة والرمز دال على شيء ليس له وجه أيقوني الخـوف والفرح والعدل وكل الشعارات والصفات .

وقد شكلت كـل هـذه الاتجاهـات السـيميائية روافـد أصـيلة لبنـاء قـراءة / قـراءات) سيميائية ليس للأدب فحسب بـل لقـراءة أنظمـة علاميـة واشـارية أخـرى فقـد دخلـت السـيمياء كـل فنـون الادب شـعرا ونثـرا وايضـا جميـع دوائـر الخطابـات الفلسـفية والدينية والفكرية .

وقد امتازت الدراسـات السـيميائية للأديـب بحرصـها علـى فهـم العلاقـة الأدبيـة فـي مستوى العلاقة الجدلية بين النص الأدبـي والمجـالات الثقافيـة والايديولوجيـة ببنيتهـا الاقتصادية والاجتماعية وفي مستوى النص الأدبي نفسه .

كيف نفرق بين البنيوية والسيميائية :

١-اذا كانت البنيوية قد تسعى الى تقديم قراءات منغلقة للخطابـات الأدبيـة سـعيا إلـى تأصيل بنائية محددة تقوم علـى النسـق اللغـوي أو النمـوذج اللغـوي (لغـة / كـلام – تزامن / تعاقب –أفقي / عمودي) اعتقادا منها بـأن الخطابـات الأدبيـة تشـكل سـننها الخاصة بمعزل عن قارئها فإنّ السيميائيين قـد أبطلـوا هـذا الـزعم وطـوروا طرائـق منفتحة للقراءة .

٢- مثلما فعل التفكيكيون وشككوا بوجود مثل هذه الأنساق البنيوية المتشاكلة داخل النص وذهبوا الى أن النص الأدبي يحارب كل حالة تشاكلية خاضعة لعملية الانبناء وينزع الى التنافر والتقوض رفض السيميائيون فكرة وجود ارتباط ثابت بين الدال والمدلول وقدموا تصورهم على أن الاشارات تعوم سابحة لتغرى المدلولات إليها لتنبثق معها وتصبح جميعا (دوالا) أخرى ثانوية متضاعفة لتجلب إليها مدلولات مركبة فحرروا الكلمة لتكون اشارة حرة ،

وهي تمثل حضوراً والمدلول حالة غياب معتمداً على ذهن المتلقي لإحضاره الى دنيا الاشارة .

٣-إذا كانت قد رأت في الأدب ثقافة فإنّ السيميائية لم ترفيه سوى شفرة أو مجموعة سنن متفق عليها ضمن مستوى ما دون أن يكون ثمة أتفاق على أبعادها العميقة .

٤-إنّ القراءة السيميائية على عكس القراءة البنيوية التي ترى أن النظام مؤطر لمعنى ما ترى أن النظام يظل مهددا بسبب من أتساعه وتعذر احتوائه الى الأبد .

٥-إنّ القرءاة السيميائية لا تلغي القراءات السابقة عليها وان كانت تسفيد منها وتحتويها فهي بتركيزها على قراءة أعماق الدال بحثاً عن الأنظمة الدلالية للشفرات والعلامات وطرق انتاج المعنى لنفتح المجال واسعا لفعالية القراءة وحفز الطاقة التخييلية لدى القاريء ليشارك بفكره وثقافته في ابداع النص من خلال كشف مخبوئه وتفتيق دلالاته .

أين تتجه الدراسات النقدية الحديثة ؟

١-تتجه بطبيعتها الى السيمياء من حيث كونها علم الاشارة الدال بما تحتوي من كشف وإطلاق للأبعاد النفسية والاجتماعية والتاريخية والجمالية والدلالية والتداولية .

ولأن هناك تحولاً من البنيوية الى اتجاهات غير قابلة للتحديد كالسيمياء والتأويل والنقد الحواري وجماليات القراءة وكذلك نجد مع السيمياء ينتعش القول بالتأويل والهرمنيوطيقا .

٢-حقق المنهج السيميائي كشوفات عديدة بفضل انفتاحه على علوم الإتصال والانثربولوجيا واستيعابه لآليات التحليل النفسي والسوسيولوجي مما خلق ثورة فكرية اعادة صياغة الرؤية النقدية بما تلاءم وروح العصر .

خلاصة ذلك أنّ المنهج السيميائي هو المنظومة التقنية التي يسترشد بها القاريء للنفاذ إلى أعماق النص واستخراج مكنوناته لأنّ النص عملية ابداعية والإبداع عملية جمالية والجمال حالة تعتري المتلقي على اختلاف أصنافه .

فمثلا لو أطلعنا على سيميائية الخطاب الشعري مثلا في ديوان (مقام البوح) للشاعر عبدالله العشي

فمثلا شعرية العنوان : (مقام البوح) يعد هذا العنوان فضاءا سيميائيا يفتح الفعل الشعري على إشارتين دلالتين (مقام والبوح) ويخلق هذا العنوان نوعا من التوتر في ذهن المتلقي لأن كلمة مقام تحيلنا إحالتين لغوية وصوفية .

فكلمة مقام في المرجعية اللغوية من (قوم ، القيام ، نقيض الجلوس) والمقام موضع القدمين والمقام والمقام فقد يكون كل واحد منهما بمعنى الإقامة وقد يكون بمعنى موضع القيام وغير ذلك .

والمرجعية الصوفية فكلمة مقام تحيل على العبادة .

ثم تستوقفنا كلمة البوح ببعدها الترميزي الجمالي فعادة ما يكون البوح بين اثنين (صديقين أو حبيبين) فمقام البوح كمقام التوبة ومقام الورع ومقام التوكل ومقام التوبة وهكذا .

فلو وقفنا عند نموذج من الخطاب الشعري وكيف نتعامل معه في ضوء المنهج السيميائي :

((امرأة من سراب

ترشّ العطور على سنواتي

وتملأ بالوهج الخصب حقل العبارة من كلماتي

وتثير الفتى

كي يطول الطريق

حين يومض ذلك البريق

وتملؤني امرأة ...

قدمتْ من وراء الغمام))

التحليل السيميائي لنموذج شعري

فالمرأة ١-تطل من ثبج الماء

٢-ترش العطور

٣-قدمت من وراء الغمام

المعادلة : الماء = المرأة / الماء

المرأة ١-الغواية

٢-افتتان

المعادلة : الغواية = المرأة / الغواية

المرأة ١-حقل العبارة

٢-ايقاع سماوي - وحي

٣-الأمطار والأشعار

المعادلة : الشعر = المرأة / الشعر

الحصيلة : المرأة رمزية الماء (الحياة) والغواية (افتتنان) والشعر (ايقاع)